في طور التحول

ريتشارد بومفريه
اقتصادات آسيا الوسطى في القرن الحادي والعشرين

Richard Pomfret
The Central Asian Economies in the Twenty-First Century: Paving a New Silk Road
Princeton University Press,
Princeton, NJ, 2019, 328 pp., $45.00

من خلال كتاباته السابقة، كان ريتشارد بومفريه قد رسخ مكانته بالفعل كأحد كبار العلماء في اقتصادات آسيا الوسطى الخمسة: كازاخستان وجمهورية قيرغيزستان وطاجيكستان وتركمانستان وأوزبكستان. وجاء كتابه الجديد بعنوان «اقتصادات آسيا الوسطى في القرن الحادي والعشرين: تمهيد طريق الحرير الجديد» (*Central Asian Economies in the Twenty-First Century: Paving a New Silk Road*) في الوقت المناسب تماما بالنظر إلى تزايد اهتمام صناع السياسات والمستثمرين والعلماء بالمنطقة منذ انتقال السلطة في أوزبكستان عام ٢٠١٦ على أثر وفاة الرئيس الذي حكم البلاد ردحا من الزمن. وكان لحجم أوزبكستان وموقعها وما شهدته مؤخرا من إصلاحات سياسية واقتصادية أثر على بقية بلدان آسيا الوسطى، من دفع التعاون الإقليمي، وتشجيع التجارة عبر الحدود، وزيادة الترابط. وكان للديناميكية السياسية العالمية والتأثير الاقتصادي المتزايد من الصين في هذا الجزء من العالم دور في إثارة الاهتمام بكتاب بومفريه.

ويصحب بومفريه القارئ في جولة عبر مراحل التحول الاقتصادي في هذه الجمهوريات الخمس التي كانت تابعة للاتحاد السوفيتي— من اقتصادات تقوم على التخطيط المركزي إلى دول مستقلة–بدرجات مختلفة من نظم السوق والانفتاح أمام التجارة والاستثمار. ويحدد الكاتب ثلاث صدمات اقتصادية رئيسية واجهت كل بلدان آسيا الوسطى بدءا من عام ١٩٩١: تفكك الاتحاد السوفيتي، والتحول من نظام التخطيط المركزي، والتضخم المفرط. ويصف الكتاب الاستراتيجيات المتنوعة التي استخدمتها هذه البلدان في التعامل مع تلك الصدمات، من نهج السوق المفتوحة في جمهورية قيرغيزستان إلى سياسات الإصلاح البطيء في أوزبكستان (حتى ٢٠١٧) والاقتصاد المغلق في تركمانستان. ويحلل بومفريه كذلك دور الموارد الطبيعية في التنمية الاقتصادية لآسيا الوسطى، حيث كانت كازاخستان المستفيد الرئيسي من تطوير النفط على مدى العقدين الماضيين.

ويقدم الكتاب وصفا تفصيليا لتطور الاقتصاد السياسي في هذه البلدان الخمسة. ويُبدي بومفريه معرفة عميقة بالنماذج الاقتصادية والسياسات الحكومية في كل بلد منها منذ استقلاله. ويحلل الكتاب كذلك تأثير القوى الخارجية المختلفة على بلدان آسيا الوسطى، مع التركيز بصفة خاصة على الاتحاد الاقتصادي الأوراسي بقيادة روسيا وتأثير الروابط التجارية والاستثمارية مع الصين.

ويركز الكتاب بصفة خاصة على التحديات والفرص أمام التعاون الإقليمي في آسيا الوسطى. فقد أدت العلاقات غير الطيبة والمتوترة أحيانا بين بعض البلدان إلى تقييد الفرص أمام تنمية التجارة والبنية التحتية بين بلدان المنطقة. وفي ظل الاستثمارات الكبيرة في البنية التحتية التي تنفذها حكومات هذه البلدان ومؤسسات مالية دولية وكذلك مستثمرون أجانب، تتوافر أوضاع مواتية لزيادة التكامل الإقليمي، وتحقيق الاستفادة القصوى من إمكانات النقل والعبور في المنطقة، واستعادة الدور التاريخي لآسيا الوسطى في ملتقى طرق الحرير التي تربط آسيا وأوروبا. ويتوسع بومفريه في الحديث عن هذه الإمكانات في الفصل الأخير من هذا الكتاب، معبرا عن تفاؤل يشوبه حذر حيال قدرة آسيا الوسطى على استعادة تأثيرها التاريخي.

وكان كتاب بومفريه ليصبح أقوى لو أنه ركز بقدر أكبر على نظرة القطاع الخاص تجاه نماذج التنمية الاقتصادية الوطنية والإقليمية، وعلى الروابط بين الاستثمار الأجنبي المباشر وتوظيف العمالة وتنمية البنية التحتية المادية والمؤسسية من أجل تحسين الترابط والتجارة.

وبوجه عام، يمثل الكتاب مساهمة هائلة في دراسة تطور اقتصادات آسيا الوسطى وفي تقييم الإمكانات التي تتمتع بها هذه البلدان لمواجهة التحديات والاستفادة من الفرص المتاحة في القرن الحادي والعشرين. FD

ماموكا سيراتيلي، زميل أقدم في المركز المشترك بين معهد آسيا الوسطى والقوقاز بالمجلس الأمريكي للسياسة الخارجية